المحاضرة 03: حياة الإمام محمد عبد الوهاب وجهوده الدعوية

أولا: حالة العالم الإسلامي قبل ظهور دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب:

إن العالم الإسلامي عند قيام دعوة الشيخ ابن عبد الوهاب كان على حافة الانهيار يكابد انحطاط جميع المجالات الفكرية والعقدية، كما يموج بالفوضى والضياع والظلم والاضطهاد في مجال السياسة والاجتماع.. فلقد انحرف الناس في كثير من البلاد الإسلامية عن مفهوم الإسلام سواء في تصورهم لحقيقة الألوهية وخصائصها وصفاتها أم مظاهر حياتهم السياسية والاجتماعية والأخلاقية. ففي مجال العقيدة نشأ الشرك وغلب على تصورات كثير من الناس وأصبحت عبادة الأضرحة والقباب والتوسل بالمشايخ والصالحين أحياء وأمواتا جزءا من جوهر الدين. وانتشرت البدع والعادات والتقاليد التي حرمها الإسلام وغلبت الطرق الصوفية المنحرفة التي أصبحت المرجع الأساس عند هؤلاء الناس في أمور الدين.

ففي نجد خلع الناس ربقة التوحيد والدين، وجدوا واجتهدوا في الاستغاثة والتعلق بغير الله تعالى من الأولياء والصالحين والأصنام والأوثان والشياطين وكثير منهم يعتقد النفع في الأحجار والجمادات، ويتبركون بالأشجار، ويرجون منها القبول في جميع الأوقات. وفي الحجاز: أصبح الدعاء عند القبور من الأمور المألوفة عند كثير من الناس. فيما يفعل عند قبر خديجة في المعلاة وعند قبة أبي طالب من استغاثة وطلب شفاعة شيء تهول له النفوس، وفي اليمن يوجد قبور يتبرك بها العوام وفي الحديدة وحضرموت ويافع.. وفي الشام توجد قبور في دمشق وحلب وأقصى الشام يتبرك بها. وفي العراق قبر أبي حنيفة، ومعروف الكرخي، وكذلك ما يفعله الشيعة عند مشهد علي بن أبي طالب ﷺ في النجف ومشهد الحسين والكاضم في كربلاء. وفي مصر بلد الأزهر رفع الناس لواء العبادات الوثنية والدعاوى الفرعونية وقامت دولة الأدعياء الدراويش. وهذه القبور وغيرها يأتيها الناس فيستغيثون بها ويسألونها قضاء حاجاتهم وتفريج كرباتهم. لقد انتشرت الأضرحة والقبور في كل مكان وفي كل مدينة من العالم الإسلامي وأخذ علماء السوء يضعون الكتب للعامة لبيان كيفية الحج لهذه القبور وإقامة البدع عندها.

ثانيا: نسبه: رحمه الله ومولده ونشأته العلمية:

01-نسبه: هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد ابن بريد بن مشرف التميمي. فأصله ينحدر إلى قبيلة تميم تلك القبيلة التي حافظت على موطنها في إقليم نجد واستقرت واستوطنت وتركت حياة البدو واشتغلت بأوجه النشاط الأخرى من زراعة وتجارة.

والمعروف عن أسرة الشيخ أنه ما كان في نجد في القرون الخمسة الأخيرة أسرة أنجبت من العلماء مثلما أنجبت هذه الأسرة، لقد كان جده سليمان بن علي مرجع المستفتين في زمانه وملاذ العلماء والمتعلمين، وكان فقيها عارفا بالمذاهب. وكان لسليمان ولدان هما عبد الوهاب وإبراهيم اشتغلا بالعلم وبرزا فيه أما إبراهيم فقد اقتصر على القراءة والتعليم، وكان كأبيه يفتي ويدرس.

وأما عبد الوهاب فقد تولى قضاء العيينة في إمارة عبد الله بن حمد بن معمر، ولكنه عزل فيما بعد عندما تولى إمارة العيينة محمد بن حمد، وكان لعبد الوهاب ولدان هما محمد وسليمان. فسليمان كان عالما فقيها وقد خلف أباه في قضاء حريملاء وكان من أشد أعداء الدعوة في أول الأمر ولكن الله هداه فيما بعد.

أما والدة الشيخ محمد رحمه الله؛ فهي بنت محمد بن عزاز بن المشرفي الوهيبي التميمي، فهي من عشيرته الأدنين.

02- مولده ونشأته العلمية: ولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب سنة (1115 هـ) في بلدة العيينة. تعلم القرآن وحفظه عن ظهر قلب قبل بلوغه عشر سنين، و كان حاد الفهم وقّاد الذهن ذكي القلب سريع الحفظ، قرأ على أبيه في الفقه، و كان رحمه الله في صغره كثير المطالعة في كتب التفسير والحديث وكلام العلماء في أصل الإسلام، فشرح الله صدره في معرفة التوحيد وتحقيقه ومعرفة نواقضه المضلة عن طريقه، و جدّ في طلب العلم وأدرك و هو في سن مبكرة حظاً وافراً من العلم.

وهكذا نشأ الشيخ محمد بن عبد الوهاب نشأة علمية؛ فأبوه القاضي كان يحثه على طلب العلم و يرشده إلى طريق معرفته، ومكتبة جده العلامة القاضي سليمان بن علي بأيديهم، و كان يجالس بعض أقاربه من آل مشرف وغيرهم من طلاب العلم، و بيتهم في الغالب ملتقى طلاب العلم وخواص الفقهاء سيما الوافدين باعتباره بيت القاضي، ولا بد أن يتخلل اجتماعاتهم مناقشات ومباحث علمية يحضرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

رحل الشيخ إلى مكة والمدينة والبصرة غير مرة، طلباً للعلم .. ولم يتمكن من الرحلة إلى الشام وعاد إلى نجد يدعوهم إلى التوحيد. وبعد مضي سنوات في طلب العلم عاد الشيخ إلى بلدة حريملاء التي انتقل إليها والده بعد أن تعين عليها أمير جديد يلقب بخرفاش بن معمر والذي لم يرق له بقاء الشيخ عبد الوهاب في القضاء فعزله عنه ، فغادرها الشيخ عبد الوهاب إلى حريملاء وتولى قضاءها وأقام بها مع أبيه يدرس عليه ويدعو إلى التوحيد و يبين بطلان دعوة غير الله.

ثالثا: المرحلة التأسيسية للدعوة السلفية:

01-الشيخ ابن عبد الوهاب في حريملاء: رجع الشيخ محمد من البصرة مارا بالأحساء إلى بلدة حريملاء حيث يعيش والده هناك، وبوصوله إلى حريملاء تبدأ المرحلة التأسيسية للدعوة، فقد دخلت الدعوة مرحلة جديدة، ويمكن القول إن هذه الفترة التي أمضاها الشيخ في حريملاء، والتي استمرت نحو خمس عشرة سنة، أي منذ وصوله سنة ١١٣٩ هـ إلى سنة مغادرته إلى العيينة سنة ١١٥٣ هـ كانت فترة استعداد للوثبة الكبرى التي أعدته لها العناية الإلهية وألهمته إياها. والواقع أن الشيخ محمدا لم يلزم جانب الهدوء، ويخلد إلى السكون والراحة، بل واصل التعلم والتعليم مع أبيه، وعندما رأى حال الجهل التي يعيشها الناس في حريملاء اشتد حماسه في سبيل إنقاذ مواطنيه مما هم فيه من الجهل بأصول الدين، فأخذ يجاهر بدعوته، ويدعو الناس للعودة إلى الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح، ولم يكن مجتمع نجد مستعدا لقبول ما يدعو إليه الشيخ ولهذا عارضوا ما نادى به وحاولوا التخلص من صاحب الدعوة، ولما ظهر لعبد الوهاب أن ولده متحمس لدعوته وأن الناس يعارضون هذه الدعوة ويتربصون بصاحبها الدوائر، خاف عبد الوهاب على ابنه محمد ونصحه بلزوم الاعتدال وعدم التسرع في دعوته. فأخذ برأي والده وبعد وفاة والده عام ١١٥٣ هـ نشط في دعوته، وبذل فيها ما أعطي من قوة واندفاع. شاع خبر محمد في المنطقة كلها وتناقل الناس أخبار الدعوة والداعي فأقبل عليه كثيرون واتبعوا دعوته، ولزموا مجلسه فأخذ يعظ الناس ويرشدهم، ثم بدأ يرسل دعاته ورسائله إلى البلدان المجاورة لنشر دعوته.

ولم يكتف محمد أثناء إقامته في حريملاء بهذا، بل ألف أثناء هذه الفترة كتابه القيم، الذي كتب فيه مبادئ دعوته، وهذا الكتاب، هو كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد" وفي هذا الكتاب يشرح محمد بن عبد الوهاب العقيدة الإسلامية شرحا واضحا، مستندا في هذا إلى القرآن الكريم والسنة الشريفة، وطريقته يأتي بالآية التي تدعو إلى التوحيد، وتبين حقيقته ... ثم يورد ما ثبت عن رسول الله ﷺ من حديث في هذا المعنى، ثم يكشف بعد هذا ما يفسد عقيدة المسلم ويذهب بالناس مذهب الشرك. ومن أمثلة ذلك قوله تحت عنوان: «باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين». يقول قال الله ﷻ: ﴿أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [النّساء، من الآية: ١٧١] . وفي الصحيح عن ابن عباس ﷺ في قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾]نوح: ٢٣ . [قال:«أي ابن عباس» هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا في مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسي

العلم عبدت، وعن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد الله فقولوا عبد الله ورسوله» وعلى هذه الطريقة سار محمد بن عبد الوهاب في كتابه وكان هدفه بيان حقيقة التوحيد، وقد أسفرت جهوده في حريملاء عن نتائج طيبة فوالاه أناس وأيدوه، واعتقدوا أنه محق في دعوته وصادق.

وعلى الجانب الآخر عارض دعوته آخرون، وسفهوا الشيخ وقاوموا دعوته، وقد ساعد الوضع السياسي المضطرب في حريملاء الحزب المعارض على الانتصار، حيث كان للفرع الحاكم زمن محمد بن عبد الوهاب عبيد أشداء عتاة مفسدون كثر فسقهم واعتداؤهم على الناس، وكثرت جرائمهم، فنهاهم الشيخ فكبر ذلك عليهم، فهموا باغتياله، فبيتوا مؤامرة للقضاء عليه، وتسوروا عليه جدار منْزله ليلا، وكادوا يقتلونه لولا أن رآهم أحد الجيران فصاح بهم ونبه الناس إليهم فهربوا. ولقد أدرك الشيخ بعد هذه المؤامرة أن لا بقاء له في حريملاء وأن من الأفضل له ولدعوته أن يهاجر إلى العيينة دار نشأته، وموطن أسرته وأصدقائه.

02-الشيخ محمد بن عبد الوهاب في العيينة: عندما وصل الشيخ إلى العيينة رحب به أميرها عثمان بن معمر أجمل ترحيب، وأنزله على الرحب والسعة، ولقد ارتاح الشيخ لما ناله من تأييد الأمير عثمان بن معمر، وحرصا من عثمان بن معمر على تقوية أواصر الود والصداقة بينه وبين الشيخ فقد زوجه من السيدة، «الجوهرة عمته»، وكان الأمير عثمان بن معمر يأمل أن يتعاون مع الشيخ محمد، فحقق الله أمنيته وتحدث إليه قائلا: "إني أرجو إن قمت بنصر لا إله إلا الله أن يظهرك الله تعالى، وتملك نجد وأعرابها. ورضي عثمان بما عرض عليه الشيخ فبايعه على النصر والتأييد وتبعه في دعوته، وأعانه بكل ما يستطيع من قوة وقام ابن معمر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحكم شرع الله في وطنه، وأزال الظلم، وقمع أهل البغي.

ولما رأى أنصار الشيخ مكانته في العيينة التحقوا به ونالوا من ابن معمر ما يليق بهم من التكريم والحفاوة، ولم يقتصر الشيخ أثناء إقامته في العيينة على إرشاد أهلها، بل كان يكتب الرسائل ويرسلها إلى بعض البلدان مثل الدرعية وثادق والمجمعة يبيّن في هذه الرسائل حقيقة التوحيد ومعنى الإسلام.

03-برنامج الشيخ الإصلاحي في العيينة:

أ-إزالة المنكرات: ومنها:

–**قطع الأشجار التي يتبرك بها:** لقد بلغت الخرافة ببعض المسلمين في نجد إلى التوسل والتبرك ببعض الأشجار والنخيل، وكان هناك شجرة مشهورة «شجرة الطرفية» كان الناس يتعلقون بها ويرجون منها الشفاء والبركة. فكان الشيخ رحمه الله يستأجر رجالا يدفع إليهم من ماله، ليقطعوا هذه الأشجار، وبقيت شجرة واحدة بالعيينة وكانت كبيرة تعرف بشجرة الذئب، لم يستطع أتباع الشيخ قطعها لكثرة روادها وقاصديها، فذهب الشيخ إلى هذه الشجرة بنفسه وقطعها وهو يتلو قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ الإسراء: ٨١] . ولما أصبح الناس لم يجدوا هذه الشجرة، فترقبوا بالشيخ الضرر فوجدوه لم يصب بمكروه.

–**هدم القباب:** وخطا الشيخ خطوته الثانية وهي التصميم على هدم القباب المقامة على القبور التي ضل الناس بها عن الهدف، فتبادل الرأي مع الأمير عثمان بن معمر فوافق على ذلك وكان ببلدة الجبيلة قبة على القبر المنسوب إلى زيد بن الخطاب، يقدسها ويحجون إليها، ويعكفون على القبر ويتمسحون به، فأراد الشيخ أن يهدمها وشاور عثمان بن معمر فقال له عثمان: دونكما فأهدمها فأعرب الشيخ لعثمان عن خوفه من أهل الجبيلة، فطلب مساعدته، فذهب الشيخ ومعه عثمان بن معمر بنحو ستمائة رجل، فلما اقترب منها، هب أهل الجبيلة لمنعهما بالقوة، فاستعد عثمان لحربهم، ورتب جنده، وأعد سلاحه، فلما رأوا عزم عثمان تخلّوا عن المقاومة بأيديهم، فأقبلوا يمنعونهما بألسنتهم ويخوفونهما من عاقبة عملهما، وعندما رأى الشيخ ذلك، أخذ الفأس وضرب جوانبها، وتابعه أتباعه وأزيلت القبة. وما أصاب الشيخ ضرر.

ب–إقامة حد الزنا: لقد استطاع محمد بن عبد الوهاب أن يؤثر تأثيرا عميقا في المجتمع الذي عاش فيه، وأن يجعل كل إنسان يحاسب نفسه على ما فعل. وبلغ من تأثيره في الناس أن جاءته فتاة نجدية، تعترف بأنها قد زنت وهي متزوجة وطلبت من الشيخ أن يقيم الحد عليها. وكانت هذه الفتاة تعرف أن الحد هو أشد عقوبة عرفها البشر، الرجم، ومع ذلك فقد أقدمت على الاعتراف بالذنب وطلبت من الشيخ إقامة الحد عليها، بسبب ما تمكن في قلبها من العقيدة الصادقة، وما ثبت فيه من الإيمان، والحق أن هذا أسمى ما يتخيل من ألوان التضحية بالنفس في سبيل الواجب.

ولما كانت الحدود في الشريعة الإسلامية السمحة تدرأ بالشبهات فقد فتح لها الشيخ طريقا للنجاة فسألها هل غصبت غصبا فأجابت أنها كانت راضية غير مغصوبة، ففكر الشيخ ثم طلب إليها أن تراجعه بعد أيام، وتكررت مراجعة الزانية التائبة أربع مرات وأصرت إصرارا غريبا على إقامة الحد عليها، وكان موقف لا

يكاد يجد له الباحث عشرة أشباه في تاريخ البشر هو أعجوبة الأعاجيب في تاريخ البشر، فأقام عليها الحد بمشاركة عثمان بن معمر، ومشى الخبر في كل مكان فانقطعت – به طرق الزنا.

ج-إلزام الناس بصلاة الجماعة: وجد الشيخ في العيينة أن المسلمين منصرفون عن صلاة الجماعة وهي شعار عظيم من شعائر الإسلام، فطلب من الأمير عثمان بن معمر حاكم العيينة بأن يشكل هيئة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكون من أول واجباتها إلزام الناس بصلاة الجماعة وبالفعل باشرت هذه الهيئة مهمتها، نتيجة لذلك امتلأت المساجد بالمصلين وعمرت بمجالس العلم والذكر، وبهذا زادت الرابطة الاجتماعية بين الناس في العيينة.

04-الشيخ يغادر العيينة: قام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ببرنامجه الإصلاحي الآنف الذكر في العيينة، مدفوعا بقوة إيمانه، فشاعت أخباره ومساندة عثمان بن معمر إلى مسمع العرب خاصة أمراء نجد والأحساء، وقد اعتقد أعداء الدعوة، أن انتصار الدعوة يعنى ضياع السلطة من أيديهم لذا حاولوا بكل وسيلة ممكنة القضاء عليها، وزعموا أنه يملأ قلوب الجهال والطغام بكلامه ويقويهم بطريقته فيخرجون على حكامهم ويعلنون العصيان.

لهذا شكوا تصرفاته وتصرفات مساعده ابن معمر إلى سليمان آل محمد رئيس بني خالد في الأحساء، وكان عثمان بن معمر يتلقى راتبا منه وخوفوه من خطر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «فأرسل سليمان إلى عثمان كتابا يهدده فيه إن لم يقتل الشيخ أو يخرجه من بلده إن لم يفعل ذلك قطع خراجه عنده في الأحساء»، فلم يستجب ابن معمر في بداية الأمر لطلب حاكم الأحساء، ولكن الظروف كانت كلها ضد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وابن معمر، وقد أدرك ابن معمر أنه لا يستطيع، رفض أمر حاكم الأحساء، فأمر الشيخ بالرحيل من العيينة.

ولكنه مع ذلك لم ينس خلائق العربي، ولم يغدر بجاره، فقال له: «إن سليمان أمرنا بقتلك، ولا نقدر على مخالفة أمره، وليس من المروءة ولا كرم الأخلاق أن نقتلك وأنت جارنا، فشأنك ونفسك وارحل عن بلادنا» وبعد أن رأى الشيخ موقف عثمان عرف أن لا مقام له في العيينة. وهكذا رحل الشيخ من مسقط رأسه بعد أن أقام فيها أربع سنوات، وقف معه ابن معمر موقف النصير المخلص، الذي يؤمن بصدق الدعوة التي كان من حملة لوائها بل كان أول من ساندها وجاهد من أجلها أشد الجهاد. وقد قرر الشيخ الذهاب إلى الدرعية لوجود كثير من أتباعه بها ولأن الأمير محمد بن سعود مشهور بالقوة والتدين والصلاح.

05-الشيخ في الدرعية: خرج الشيخ من العيينة سنة ١١٥٨ هـ ووصل إلى الدرعية صلاة العصر» فنزل في الليلة الأولى عند عبد الله بن سويلم، وقدم الناس إلى منزل ابن سويلم، حتى ضاق بهم، فخاف ابن سويلم على نفسه من أمير الدرعية محمد بن سعود، فوعظه الشيخ وهدأ من روعه.

ثم انتقل في اليوم التالي إلى دار تلميذه أحمد بن سويلم الذي امتلأ بيته بأنصار الشيخ ومريديه، وكان من بينهم ثنيان ومشاري إخوان الأمير محمد بن سعود اللذان حاولا إقناع أخيهما بمواجهة الشيخ فتردد في أول الأمر فذهبا إلى زوجته موضي بنت أبي وطبان، وكانت امرأة متدينة عاقلة، فأخبراها بمكان الشيخ وبحقيقة دعوته، فألقى إليه في قلبها حبه والرغبة في نصرته، ولما دخل عليها زوجها محمد بن سعود قالت له: «إن هذا الرجل ساقه الله إليك وهو غنيمة فاغتنم ما خصك الله به» فقبل منها ودعا أخاه مشاري وطلب منه أن يدعو الشيخ لمقابلته ولكن مشاري أشار على أخيه أن يذهب بنفسه لمقابلة الشيخ. وقال له: سر إليه برجلك وأظهر تعظيمه وتوقيره ليسلم من أذى الناس.

06-**لقاء محمد بن سعود للشيخ ومعاهدته:** ذهب الأمير محمد بن سعود إلى بيت أحمد بن سويلم وهناك رحب بالشيخ قائلا له: «أبشر ببلاد خير من بلادك وأبشر بالعز والمنعة. فقال الشيخ: وأنا أبشرك بالعز والتمكين وهي كلمة لا إله إلا الله من تمسك بها ونصرها ملك البلاد والعباد كلمة التوحيد وأول ما دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم.

ثم أخبره بما كان عليه رسول الله ﷺ وما دعا إليه، وما كان عليه السلف الصالح، وما أمروا به وما نهوا عنه، وأن كل بدعة ضلالة وأخبره بما عزهم الله به، من الجهاد في سبيل الله وأغناهم به، وجعلهم إخوانا، وبما هم عليه أهل نجد اليوم، من المخالفة والشرك والابتداع والاختلاف والجهل والظلم، وبعد أن استمع الأمير محمد إلى الشيخ قال:» يا شيخ إن هذا دين الله ورسوله الذي لا شك فيه وأبشر بالنصر لك ولما أمرت به والجهاد لمن خالف التوحيد. ولكن أريد أن أشترط اثنتين:

الأولى: نحن إذا قمنا بنصرتك والجهاد في سبيل الله وفتح الله لنا ولك البلدان أخاف أن ترحل عنا وتستبدل بنا غيرنا.

الثانية: أن لي على أهل الدرعية قانونا آخذه منهم في وقت الثمار وأخاف أن تقول لا تأخذ منهم شيئا.

فأجاب الشيخ: أيها الأمير أما الأولى فأبسط يدك الدم بالدم والهدم بالهدم. وأما الثانية فلعل الله أن يفتح لك الفتوحات فيعوضك الله من الغنائم وما هو خير منها. ثم إن محمد بسط يده وبايع الشيخ على دين الله ورسوله والجهاد في سبيل الله وإقامة شرائع الإسلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقام الشيخ معه

واستقر عنده وتم التحالف بين الشيخ والأمير على نصرة الحق ومحاربة الشرك. هكذا دخل محمد بن سعود في الدعوة وكان الاتفاق بينه وبين الشيخ النواة الأولى في بناء صرح الدولة السعودية الأولى. وما أن ذاع خبر هذا الاتفاق سنة ١١٥٧ هـ – ١٧٤٦ م في بلدان نجد حتى أتى المبايعون إلى الدرعية وأصبحت بمثابة العاصمة الدينية والسياسية والحربية، وضاقت منازلها عن تحمل العدد الغفير الذي هاجر إليها من أتباع الشيخ من العيينة وغيرها من بلدان نجد، وكانت الدرعية ومن هاجر إليها في ذلك الوقت في ضيق مالي ثم تحسنت أحوالهم بعد ذلك بسبب ما حصلوا عليه من الغنائم والزكاة التي أصبحت تؤخذ من البلدان الخاضعة للدرعية.

ولما علم عثمان بن معمر باتفاق المحمدين ندم على خروج الشيخ من بلده فطلب منه الرجوع ووعده بنصره ومنعة. فقال الشيخ: «ليس ذلك إلي، إنه لمحمد بن سعود، فإن أراد أن أذهب معك ذهبت وإن أراد أن أقيم عنده أقمت، ولا أستبدل برجل تلقاني بالقبول غيره»

07- الأعمال التي قام بها الشيخ في الدرعية

أ- دروس التوحيد: عكف الشيخ بعد استقراره في الدرعية، على التدريس كعادته فقد درّس وعلّم في البصرة وفي حريملاء وفي العيينة. فعلم الناس التوحيد، والمتفق عليه بين المؤرخين، أنه بدأ بتعليم أهل الدرعية معنى لا إله إلا الله، فقال: إنها نفي وإثبات «فلا إله» تنفي جميع المعبودات و«إلا الله» تثبت العبادة لله وحده لا شريك له وقال: إن معرفة الله تكون بآياته ومخلوقاته كالشمس والقمر والنجوم والليل والنهار، وعلمهم أيضا معنى الإسلام فقال: إنه الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة. كما علمهم سيرة الرسول ﷺ وبعثته وجهوده في سبيل نشر الدعوة الإسلامية وهجرته، وأوضح لهم أن أول ما دعا إليه، لا إله إلا الله. وعكف إلى جانب ذلك على التأليف فألف سلسلة من الكتب والرسائل دلت على عمق فهمه لمرامي الشريعة الإسلامية. وظل هذا على شأنه حتى وفاته رحمه الله.

ب- مكاتبة أهل البلدان: لما فرغ الشيخ محمد من أمر الدرعية حيث دلهم على التوحيد الصحيح، بدأ صفحة جديدة في سجل الدعوة، فأرسل إلى أهل البلدان المجاورة مثل حريملاء والرياض ... وإلى أمراء العرب وقضاتهم ومدعي العلم فيهم، يدعوهم إلى العودة إلى التوحيد والإسلام الخالص.

رابعا: الدعوة إلى الجهاد:

لما رأى الشيخ محمد بن عبد الوهاب أن أعداء الدعوة لم يكتفوا بالإعراض عنها، بل سخروا منها، ونسبوا إلى القائمين بها ما ليس فيهم، واستعدوا للاعتداء عليها عندما رأى ذلك دعا أتباعه إلى الجهاد في سبيل نشر الدعوة وحمايتها فلبوا دعوته وكان في مقدمتهم الإمام محمد بن سعود أمير الدرعية ومناصر الدعوة وحاميها. وانتشرت الفتوحات السعودية تدريجيا، واقتصرت في أول الأمر على بعض المناطق، ثم أخذت في التوسع، فشقت طريقها إلى الوشم، وامتدت الدرعية بتوسعها إلى سدير والمحمل وترنحت الرياض تحت ضربات الدرعية ثم طلبت الصلح.

وفي عام ١١٧٩هـ توفي محمد بن سعود أمير الدرعية ومؤسس الدولة السعودية، فتم اختيار ابنه عبد العزيز للإمارة، وكان في السادسة والأربعين من العمر.

ويعد الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود بحق المؤسس الثاني للدولة السعودية الأولى. لقد شارك في تأسيس بنائها وتركيز دعائمها، فقد آزر أباه في كهولته، وناب عنه في شيخوخته، ولما توفى أبوه واستقل بالسلطان، حمل الراية بقوة وإيمان، وأخضع البلدان بالحرب والسياسة وأقام على الشرع قواعد الحكم والرئاسة، وأضاف إلى ملكه الذي ورثه عن أبيه شيئًا كثيرًا.

لقد بارك الله في الملك الصغير الذي ورثه من أبيه ونصر راياته، فلم تمض سنوات قليلة حتى استطاع عبد العزيز بن محمد بن سعود أن يضم إلى ملكه بلاد نجد والأحساء، وجبل شمر وتهامة وسراة عبيدة ومرتفعات الحجاز، وبسط حمايته على القواسم وعمان وزبارة والبحرين، كما تفتحت له أبواب الحرمين وجبيت له الزكاة من بوادي الشام والعراق

لقد تضاعف ملكه، وكبرت عاصمة دولته الدرعية لتكون أعظم مدينة في جزيرة العرب. وصدقت كلمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب للإمام محمد بن سعود من أول لقاء بينهما، فقد وعده متى أخلص التوحيد لله والتزم بأحكام الشرع أن يملك هو وأبناؤه جزيرة العرب.

لقد استطاع القضاء على إمارة ابن دواس في الرياض التي طالما ناصبت دولة الدعوة العداء على مدى ٢٨ سنة واستطاع القضاء على إمارة ابن عريعر في الأحساء والقطيف تلك الإمارة التي عملت على عرقلة نشر الدعوة السلفية.. والحق»أن العمل الذي قام به محمد بن سعود وابنه عبد العزيز، بعد مبايعتهما للشيخ كان عملا جليلا، من الناحيتين الدينية والوطنية، لأنه أحل الدين محل الخرافة والجهل، والوطن محل الاقليمية والقبلية. ولكن أبعاد هذا العمل العظيم تبدو لنا بوضوح وقوة متى وضعناه في«إطاره العالمي» فقد

حقق محمد وعبد العزيز من بعده توحيد الشطر الأكبر من جزيرة العرب تحت لواء واحد حدثا عظيما لفت أنظار العالم: وهو ظهور دولة عربية حرة قوية، بعد فترة طويلة من غياب العرب عن مسرح السياسة الدولية.

خامسا: العوامل التي أثرت في الشيخ محمد فجعلته مصلحا دينيا

يوجد عدة عوامل أثرت في الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومن أهم هذه العوامل ما يأتي:

01- البيت: فلقد رأينا كيف نشأ الشيخ في بيت علم وفقه وقضاء، بين والده عبد الوهاب الذي كان فقيها حنبليا، وجده سليمان الذي كان شيخ نجد في زمانه، ولا شك أن من يتوفر له مثل هذا الجو، يتأثر به، ويكون اتجاهه في الغالب اتجاها دينيا.

02- شخصية شيخ الإسلام ابن تيمية: ومن بين العوامل التي أثرت في تكوين شخصية الشيخ محمد واتجاهه السلفي بجانب البيت هو الإمام أحمد تقي الدين الذي عاش في القرن الثامن الهجري وبالرغم من طول الفترة الزمنية التي تفصل بينهما إلا أن الشيخ محمد درس آثار ورسائل ابن تيمية دراسة عميقة وأخذ عنها ونسخ بعضها بنفسه «وفي المتحف البريطاني بعض رسائل لابن تيمية مكتوبة بخط ابن عبد الوهاب» بل إن المبادئ التي نادى بها الشيخ محمد، كانت نفس المبادئ التي نادى بها ابن تيمية. فكل منهما نادى بالرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله. وما كان عليه السلف الصالح، ومقاومة البدع التي ألصقت بالإسلام، وعلى هذا فإن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، تعد امتدادا لدعوة ابن تيمية.

03-الرحلات: لقد كان للرحلات التي قام بها الشيخ أكبر الأثر في نفسه، لقد ذهب إلى مكة المكرمة واجتمع بكثير من الحجاج وعن طريقهم عرف – الكثير عن أحوال المسلمين في البلاد الإسلامية خارج الجزيرة، وعندما ذهب إلى مدينة الرسول ﷺ اجتمع بعلماء أجلاء، كان لهم أكبر الأثر في دعوة الشيخ، كما شاهد البدع منتشرة في المدينة، وعندما ذهب إلى البصرة شاهد ما شاهده من الخرافات والبدع التي ليست من الدين في شيء. والحق أن جميع رحلات الشيخ قد وسعت من أفقه، ونبهته إلى الأخطاء المنتشرة في العالم الإسلامي، وجعلته يصمم على القيام بدعوته الإسلامية المباركة.

04- المجتمع الذي عاش فيه: لقد كان المجتمع الذي نشأ فيه الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله مجتمعا يحتاج إلى إصلاح عقيدته، فالبيئة التي عاش فيها كانت بيئة خرافات وبدع، لقد جعلت هذه البيئة الفاسدة الشيخ محمدا يصمم على محاربة الخرافات والبدع، والعمل على نشر مبادئ الإسلام السليمة.

سادسا: مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

خلف الشيخ محمد بن عبد الوهاب ثروة قيمة من الكتب والرسائل تؤلف مكتبة خاصة يرجع إليها ويستقي من مناهلها وفيما يلي بيان بأهم مؤلفاته:

01-كتاب التوحيد: وهو أول كتاب ألفه الشيخ محمد بن عبد الوهاب والهدف الرئيس من تأليف هذا الكتاب هو توضيح مفهوم التوحيد والشرك وما يتعلق بهما. والواقع أن كتاب التوحيد هو المحور الذي دارت حوله مؤلفات الشيخ وأتباعه في هذا الموضوع.

اشتمل هذا الكتاب على آيات وأحاديث في تبيان التوحيد وفضائل شهادة أن لا إله إلا الله، كما اشتمل على أنواع كثيرة من الشرك والمنكر.

02-كتاب كشف الشبهات: وهو كتاب صغير يقع في صفحات قليلة. يشبه رسالة من رسائله التي كان يبعث بها إلى الرؤساء والقادة.

وهذا الكتاب لا يعرف تاريخ تأليفه ولكنه يترجم عن رسالة صاحب الدعوة، وهي تخليص التوحيد من دواعي الشرك وأسبابه. وهذا الكتاب يمثل مرحلة من المراحل التي مرت بها الدعوة كما يمثل دور الصراع الفكري، إلى جانب الصراع المادي بين أنصار الدعوة وخصومها. ففيه يرد الشيخ على خصوم الدعوة ويفند أدلتهم فيما يدفعون به التهمة، وهي الإلحاد والشرك.

03-كتاب الكبائر: أوضح الشيخ في هذا الكتاب الأشياء التي تخالف أسس الإسلام وقواعده.

04-كتاب الأصول الثلاثة وأدلتها: فيه شرح لهذه الأصول وهي معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة الإسلام.

05- كتاب أصول الإيمان: أوضح الشيخ معرفة الله والإيمان به ويشمل أيضًا شرحا للإيمان بالقدر والحث على طلب العلم.

06-كتاب فضل الإسلام: فيه بيان لفضل الإسلام وتفسيره.

07-كتاب شروط الصلاة وأركانها:

08-كتاب مجموع الحديث على أبواب الفقه.

09-كتاب مختصر الشرح الكبير والإنصاف.

10- كتاب الهدي النبوي.

11-كتاب مسائل الجاهلية.

12-كتاب السيرة المختصرة: وهو اختصار لسيرة الرسول ﷺ عن سيرة ابن هشام

هذا وللشيْخ غير هذه المؤلفات كثير من الرسائل المطولة والمختصرة التي كان يبعث بها إلى الأمراء وشيوخ العرب والعلماء.

سابعا: وفاة الشيخ رحمه الله ..

توفي الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله يوم الاثنين آخر شوال سنة ١٢٠٦هـ عن إحدى وتسعين سنة، قضى معظمها في الدعوة للإسلام والعمل على تجديده. وما كان خبر وفاته يعم الدرعية حتى عمها الحزن وسرعان ما انتشر هذا الخبر في أنحاء الجزيرة فحزنت لفقد هذا المصلح العظيم ورثاه العلماء ومنهم الإمام المصلح العلامة محمد بن علي الشوكاني وقد جاء في رثائه قوله:

لقد مات طود العلم قطب رحى العلا

ومركز أدوار الفحول الأفاضل

إمام الهدى ما حي الردى قامع العدا

ومروي الصدى من فيض علم ونائل

ثامنا: عوامل نجاح دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأهمّ نتائجها:

01- أسباب وعوامل نجاح دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية:

أ-**طبيعة الدعوة:** لقد قامت الدعوة على أسس سليمة وسعت إلى تحقيق أهداف سامية كان أساس الأسس الذي قامت عليه هو التوحيد، وكانت الغاية التي سعت إلى تحقيقها تحقيق العبودية الخالصة لله .

ب-**قوة إيمان صاحب الدعوة وصدق نيته:** فقد فتح الشيخ محمد بن عبد الوهاب، صاحب الدعوة قلبه لها، فولدت طيبة حتى اكتمل نموها، ودفع بها إلى الحياة تسعى بين الناس وهو من ورائها يدفعها بيقينه وإصلاحه وجمع عليها الأنصار بإيمان، والإيمان هو الصفة البارزة لصاحب الدعوة، فلقد آمن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بأن المجتمع الإسلامي قد سرى الفساد في كل مقومات حياته، وخاصة فيما يتعلق بالعقيدة، وأن هذا المجتمع أصبح فيه الإسلام غريبًا على الإسلام، وأن لا بد من جهاد وصبر وحزم في مقاومة هذا الفساد وإعادة الصحة والسلامة إلى المجتمع الإسلامي عن طريق النصح والإرشاد.

كان الشيخ يعتقد بأن الحال التي عليها المسلمون هي أسوأ حال بلغها المجتمع الإسلامي وأن الفناء مقبل عليهم إن لم يقم المصلحون منهم بدفع هذا البلاء، وإقامة الناس على نهج قويم من دين الله، وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب يؤمن بأن إصلاح هذا الفساد أمر غير مستحيل، إذا قام عليه قوم يدعون للحق ويعطونه كل ما في وسعهم من قوة وجهد. بهذا الإيمان استطاع الشيخ محمد بن عبد الوهاب أن يكسب الأنصار ويجعلهم يشدون أزره في حياته ويقومون مقامه بعد موته.

ج- حماسة أنصاره وأتباعه: إن أنصار هذه الدعوة السلفية بذلوا كل ما في وسعهم من أجل نجاحها وإبلاغ صوتها إلى مشارق الأرض ومغاربها ولولا الله ثم هؤلاء الأنصار لما استطاع الشيخ أن يثبت طويلًا، لقد حمل أنصار الدعوة من آل سعود لواء الدعوة في حياة الشيخ وبعد وفاته وابتلوا في أموالهم وأنفسهم فما بخلوا. والتاريخ يشهد أن أنصار هذه الدعوة من آل سعود وأهل نجد قد بذلوا كل ما في وسعهم من أجل حماية الدعوة السلفية والتمكين لها.

د-طبيعة البيئة التي ظهرت فيها الدعوة السلفية: لقد ظهرت الدعوة السلفية في نجد، وكانت أنسب تربة لهذه الدعوة المباركة، فأهلها بسطاء متقشفون يتمتعون بصفات المروءة والشجاعة والنجدة.. ويوجد فيهم الرجال الذين يصلحون لتحمل الأعباء الجسام. ومن جهة أخرى فقد كانت هذه المنطقة بعيدة عن السلطة العثمانية ومن نفوذ رجال الدين والمتصوفة، وفقهاء المذاهب المختلفة الذين يحتلون المناصب الرسمية في الدولة، والذين يتكلفون في معارضتهم للحركات الإصلاحية خوفًا على مراكزهم ومناصبهم.

هـ زمان الدعوة: الوقت الذي ظهرت فيه دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان أنسب الأوقات لدعوات الإصلاح، إذ وصل الأمر غايته من فساد العقيدة وانحراف الناس عن سواء السبيل، لقد كانت حال المسلمين في أمس الحاجة إلى الإصلاح وبناء المجتمع الإسلامي على قواعد صحيحة بعد أن عبث بها الجهل والضلال.

02-نتائج دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد بشكل خاص وفي الجزيرة العربية بشكل عام:

أ-قضت هذه الدعوة المباركة قضاءً تامًا، على ما كان شائعًا في نجد من الخرافات وما كان شائعًا من تعظيم القبور والنذر لها، والاعتقاد في بعض الأشجار، وأحيت معالم الشريعة بعد اندثارها. ولم يقتصر هذا على نجد بل طهر الله كل البلاد التي صار لهذه الدعوة المباركة فيها نفوذ وسلطة من جميع مظاهر الشرك والبدع والخرافات.

ب-استطاعت الدعوة السلفية التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ونصرها ومكن لها آل سعود من

إقامة مجتمع إسلامي متكامل يؤمن بالإسلام عقيدة وشريعة ونظام حياة، ويقيم شعائر الإسلام الظاهرة كالمحافظة على صلاة الجماعة والجمع والأعياد، وجباية الزكاة وترتيب العمال لقبضها، بعد أن كان الناس يدفعون ضرائب «إخاوة»، ويسمون جباتها مكاسًا. كما قامت بتعيين قضاة لفصل الخصومات بين الناس، وتقرير أرزاقهم من بيت المال، وتحكم شرع الله – بعد أن كان بعض الناس وخاصة البدو يتحاكمون إلى العرف– وتطبيق أحكام الإسلام، وإقامة الحدود مما هيأ الأمن والاستقرار في البلاد. كما أحيت نظام الحسبة، وعينت في كل بلد تحت حكم الدولة محتسبين يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويحثون على الالتزام بالآداب الإسلامية، ويراقبون الأسواق والأسعار وتطفيف الموازين.

كذلك أنشأ الشيخ محمد بن عبد الوهاب بيت مال للمسلمين، ووضع قواعد تنظيم جباية أمواله وأوجه الصرف والإنفاق منه.

ج–ومن الآثار السياسية لهذه الدعوة المباركة تمكنها من القضاء على الإمارات المتنافسة المتناثرة وتوحيدها لمعظم أجزاء الجزيرة العربية، والمعروف أن نجد قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومناصرة آل سعود له ما كانت إلا تعبيرًا تاريخيًا ومصطلحًا جغرافيًا في الكتب.. وأما في الواقع، فما كان شيء يذكر بوحدتها أو بوجودها، وإنما كان هناك إمارات ومشيخات كثيرة كل واحدة منها مستقلة عن الأخرى، وكانت الحرب، بين هذه الدويلات العجيبة، قائمة موصولة، كأنها جزء من طبيعتها، وكانت البلاد تعيش في رعب دائم، بين عدو يأخذها بالقهر، أو حليف يأخذها بالغدر.. وما كان أبناء البلدة ليتجرأوا على الابتعاد عن أسوار بلدتهم إلا بمغامرة – لأن الطرق مرصودة بقطاع الطرق.

حال نجد هذه تغيرت بعد الدعوة السلفية. لقد وحدت الدعوة السلفية معظم أجزاء الجزيرة العربية ومن بينها نجد تحت حكم دولة إسلامية واحدة هي الدولة السعودية الأولى التي امتدت حدودها من الشام شمالًا إلى اليمن جنوبًا ومن البحر الأحمر غربًا إلى الخليج العربي شرقا»٢.

د–كان أثر الدعوة السلفية واضحا في النهضة العلمية والأدبية. لقد نبهت هذه الدعوة المباركة الأمة من رقدتها، ووجهت الأنظار إلى البحث ومناقشة الآراء وقرع الحجة بالحجة والدليل بالدليل وحملت الناس على النظر في الكتاب العزيز، واستظهار كثير من آياته ومن الحديث النبوي الشريف وهما الغاية القصوى في البلاغة والبيان والعلوم الدينية والعربية لتتشابك وتترابط ولا يمكن الفصل بينها إذ ن علوم اللسان العربي كلها ما قامت إلا لخدمة الكتاب والسنة وفهمهما فهما صحيحًا فكان لا بدّ من قيام حركة علمية شاملة ونهضة فكرية عامة.

03-انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في العالم الإسلامي:

انتشرت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج نجد عندما استولت الدولة السعودية على مكة المكرمة سنة ١٢١٩هـ وأصبح حجاج البلاد الإسلامية يفدون إلى مكة المكرمة ويشاهدون علماء هذه الدعوة الحقة، يستمعون خطبهم وإرشاداتهم، كما شاهدوا سيرة الدولة السعودية إذ ذاك، وما هي عليه من الاعتصام بالكتاب والسنة، فتأثر بعض الحجاج بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فأخذ ينشر في دعوته مبادئ دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ويحارب الخرافات الشائعة في بلاده. والواقع أن انتشار الدعوة الإسلامية في العالم الإسلامي كان له آثار متعددة منها:

أ-قيام يقظة فكرية إسلامية كان العالم الإسلامي والمسلمون في أشد الحاجة إليها وبعثها في عدد من الدول الإسلامية.

ب-كانت الدعوة عاملًا مهما من عوامل نمو الوعي الوطني في كثير من البلاد الإسلامية التي ابتليت بالاستعمار.

ج-كان من أثر الدعوة السلفية في كثير من الدول الإسلامية تجميد وإضعاف كل الأفكار المعادية لهذه الدعوة المباركة.

د- تأييد شامل لهذه الدعوة الإصلاحية من العلماء المسلمين الغيورين على دينهم وعقيدتهم في البلاد الإسلامية، والمنبع الذي اعتمد عليه كثير من رجال الإصلاح المسلمين .